

الفصل الأول

العرب والبحر

تمثل علاقة العرب بالبحر ، منذ ما قبل الميلاد وجهاً بارزاً من وجوه الحضارة العربية . فمير البحر نقل العرب تجارتهم وتجارة العالم ، ثم نقلوا دينهم ولغتهم وثقافتهم وإنجازاتهم البحرية وإضافاتهم الحضارية إلى تراث الإنسانية وحضارتها . وعبر البحر أيضاً تلقى العرب علوم العالم وثقافته ، واستوعبوا ، وصححوها ، وأضافوا إليها من ثمار الحضارة العربية ما أثرى الحضارة الإنسانية ، وقاد الغرب وكشوفه البحرية إلى آفاق جديدة للإنسانية . وامتد نشاط العرب البحري إلى شواطئ الصين وكوريا شرقاً وإلى سواحل أوروبا الجنوبية والجزر البريطانية وأيسلندا غرباً . « كما لم تقتصر معرفتهم على بلاد الإسلام وحدها بل تجاوزت بصورة ملحوظة حدود العالم كما عرفه اليونان » . كما يقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكى^(١) ، فلم تكن لدى اليونان « أية فكرة عن الساحل الشرقى لآسيا إلى الشمال من الهند الصينية » . في حين عرف العرب سواحل آسيا إلى كوريا الشمالية .

ومع هذا تزعم بعض الأخطاء الشائعة بأن العرب القدماء هم أبناء الصحراء ، وأن الصحراء هي عالمهم الوحيد الذى لم يتعدوه إلى عالم البحر ، وأنهم ركبوا الإبل والخيل ولم يركبوا السفن . غير أن هذا كله يغاير الحقائق الخارجية والجغرافية والأدبية الثابتة في هذا الموضوع . فقد عرف عرب الجنوب والخليج البحر وركبوا السفن وعبروا البحر الأحمر إلى الساحل الشرقى الأفريق ، وأقاموا عليه المراكز التجارية الثابتة ، وعبرت سفنهم المحيط الهندي ونقلوا تجارة الهند وصنعوا سفنهم من أخشابها .

وقد لعب الموقع الجغرافى للجزيرة العربية ، في قلب العالم القديم وعلى طريق التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، دوراً كبيراً في قيام العرب بدور الوسيط التجارى ، فقاموا بأعمال النقل والتبادل للتجارة العالمية عبر البحر قبل ظهور الإسلام بزمان طويل .

(١) كراتشكوفسكى ، تاريخ الأدب الجغرافى العربى ، ح ١ ص ٢٢ و ٢٣ .